وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

الدكتور عصام سليمان
رئيس المجلس الدستوري سابقاً

رحل الرئيس سليم الحص في زمنٍ لبنان والعرب بأشد الحاجة لأمثاله.

كان الرئيس الحص رجل دولةٍ في قمة الرقي السياسي. جاء الى السياسة بالصدفة، وقد فرضته الظروف رئيساً للحكومة في خضم الحرب المتعددة الوجوه التي شهدها لبنان، وبقي متشبتاً بالقيم التي نشأ عليها وبنمط تفكيره الاكاديمي، فلم يغرق في وحول السياسة، انما بقي متمسكاً بأصولها كوسيلة لادارة الشأن العام بما يعود بالنفع على الوطن والمواطنين على شتى انتماءاتهم.

آمن بالديمقراطية كنظام قيم وكنهج في ممارسة السلطة ونمطٍ في العلاقات بين الناس، في زمنٍ أُفرغت فيه الديمقراطية في لبنان من مضمونها، وشوه مفهومها بالعددية والتوافقية.

اتهم بالتردد باتخاذ القرارات، في زمن أدى فيه اتخاذ القرارات الخاطئة الى ما وصلنا اليه، وتردده احياناً كان ناجماً عن تمحصه في المعطيات وتداعيات كل قرار على المصلحة الوطنية، ولم يكن ناتجاً عن تقاعسٍ في اتخاذ القرار. وقد عرف بمواقفه الصلبة في الامور التي كان يقتنع بها.

في المعارضة اعتمد المواقف البناءة، على أساس ان المعارضة ركن أساس في الديمقراطية، هدفها ترشيد اداء الحكم من اجل تحقيق المصلحة الوطنية العليا، وكان صوت بلا صدى، لان من تولوا السلطة صموا اذانهم، فغدت الديمقراطية معهم تتلخص بالمقولة التالية: "قل ما تشاء ونفعل ما نشاء".

غابت المحاسبة كاداة اساسية، في ممارسة الديمقراطية، وبقيت الحربة المتفلته من المسؤولية، فقال الرئيس الحص في لبنان الكثير من الحرية والقليل من الديمقراطية، وتابع ان الديمقراطية لا تتطور وتنمو الا بمزيدٍ من الديمقراطية.

رقيه السياسي ووجه بسياسة بعيدة كل البعد عن الرقي، سُخرت فيها كل الوسائل غير المشروعة والهمجية، فغادر العمل السياسي الى العمل الوطني، بعد ان اتسعت الهوة بين الاثنين. وبقي بعيداً عن العدوات، ملتزماً بسمو الاخلاق.

لم يكّون سليم الحص جماعة حوله من أزلام ومنتفعين، انما استقطب مجموعة من نخب متحصنة بالعلم والمبادىء، متطلعة الى بناء دولة القانون والمؤسسات، دولة المواطنة، دولة تشكل ضمانة فعلية لأبنائها.

كان لي شرف تولي نيابة رئاسة ندوة العمل الوطني التي ترأسها، على امتداد خمسة عشر سنة، وترؤوس لجنة الاتصالات التي مهدت لانشاء منبر الوحدة الوطنية. وكنت مستشاره في رئاسة الحكومة. وكنت الى جانبه في الايام الحلوة والمرة، وقد بقي كبيراً كبيراً في كل الظروف، شامخاً في مواقفه مستقيماً في ادائه.

يغادرنا الرئيس سليم الحص، وقد أدرك الجميع ان لبنان لا يستطيع النهوض الا برجالٍ ونساءٍ من أمثاله.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.